

## حك القرش

القرش اسم لامع... يتمسك بما يتضمنه من خصوصية لدى بني البشر، والمقصود هنا في سردنا هذا القرش المالي... وليس القرش الحيوان... وكما نعلم فكل منهما شأن يعنيه ويخصه... لكننا سنتلمس طريقنا هذي متتبعين القرش المعدني، الذي يعرفه الكثيرون منا... ويسمع به وبصيته جمع آخر كبير منا نحن العرب أو المستعربين وبالذات في سوداننا الحبيب.

القرش نوعان... واحد أحمر و(الثاني) أبيض... يصنع الأحمر من معدن النحاس غالباً، وهو دائري (مشرشر)... لا يتعدى نصف قطر دائرته السنتمتر الواحد، ولونه نحاسي يميل إلى الاحمرار... وكني بالأحمر ليميز مستخدموه بينه وبين القرش الأبيض... وتظهر على أحد وجهيه صورة الملك فاروق الأول ملك مصر.

للقرش الأحمر وقع خاص لدى أهلنا في السودان، في حقبة سلفت... لأنو كان بقضي الغرض... و بفك الحيرة، كنا نحن الصغار نحبه حباً شديداً... نحس بي طعمه الشافي عندما يدسه أحد أقاربنا داخل كفوفنا الصغيرة المتلهفة... التي تتولى أمره بكامل (الحنية) والعطف... كنا نعشقه تماماً فهو الذي أورتنا حب المال، وحب العمل على اقتنائه... كما علمنا الحساب، فكنا لما (نفكو) يعادل لنا عشرة مليمات... كنا نحسبها الواحدة تلو الأخرى، يعني ملين ورا ملين (هكذا كنا نطقها)... ونرخي أسمعنا لصوت سقوطها من الكف العليا للكف السفلي وهي تسوي (طق.. طق.. طق) ...

دخلنا المدرسة و (نحننا نعرف نعد من واحد لى عشرة) بسهولة... وبتمكن فائق، كان يكفيننا أن نشترى بيها بعضاً من حلاوة جعبة سكينه أو حلاوة حربة أو شكلاطة (حلاوة لبن) أو حلاوة قصب أو عنكولبية أو قاعونة أو مليص أو نبق أو لعلوب أو تسالي... أذكر أنّ كباية الشاي الصغيرونة مليانة تسالي بي ملين واحدة، من حبوبتنا (حسونة)... لكن كانت الكباية الأكبر شوية، والسمينها أخيراً كباية (استني) كانت تبيعا لينا حبوبتنا متوهب (بت وهب)، بي تعريفه كاملة، وهي ما تعادل خمسة ملين... عشان حبها كان أبيض وكبار شوية يعني ممكن يتفرقع بي سهولة... ما زي حب حبوبتنا (حسونة)، كنا نفرقو بي صعوبة شوية أو نقرشو قرش... لصغر حبه لكنه كان شهياً...

كنا لما نجتمع نحن الصغار... وواحد منا عندو حب (تسالي)، يعمل فيها تاجر... فيقوم إدي الما عندو حب ولا قروش، بعضاً من حبات التسالي... عشان يفرقها ليهو بالمقابل، وكان المقابل أن إديهو على كل وليد (الجنين) حبتين ما مفرقات... وبعد شويه يصبح المفرق (البقوم بالفرقة أو التفرق أو الفرقيع) دا ذاتو تاجر... يمارس نفس المهنة بعد ما يمتلك مجموعة من حب التسالي (الما مفرق)، يعني الحكاية فيها تبادل منفعة، وتكافل، وراحة لمالكي التسالي... فهم يأكلون وليدات مقشرة وجاهزة، من غير معاناة... والحكاية دي أصبحت نهج لى ناس الحلة، في ممارسة تجارتهم... فهم يرسملون (يمولون) بعضهم بعضاً... فيصبح المعدم تاجراً يفي بحاجة نفسه، ويكفي الآخرين شر الاعتماد عليهم.

في الجانب الآخر القرش الأبيض... وهو بنفس حجم القرش الأحمر، لكنه قد يكون (مقدوداً) في وسطه... وبالتالي لا يحمل صورة للملك فاروق... ودا النوع الذي يساعد كثيراً في عمليات الادخار... إذ كنا ندخل مثل هذه القروش في خيط متين من القطن (المتروور)... المتوافر عند الكثير من الناس... حيث توجد (المتارير) في معظم بيوت الحلة... فتصبح ثروتنا تلك في تزايد مستمر، لا نفتأ نحسبها من وقت لآخر تلذذاً ومتعة... وكنا نجد من المعاناة أشدها، حينما نضطر لاستئلال واحد من ذلك العقد النضيد، لقضاء أمر ما، حتى وإن كان ضرورياً... وأذكر من الذين يحرصون على إبقاء تلك الثروة (منضومة) كالسبحة أبداً... هو خالنا حسن ود اللمين، رغم مسكنته، وقلة حيلته، وعدم قدرته على استخدام حبة أو حبتين من ذلك الكنز المنضوم.

القرش يصبح قرشين بالصبر على جمعه... فقد كانت هنالك ما تسمى ب..(أم قرشين)... وهي وحدة نقدية فضية سداسية الشكل غالباً، وقد تكون دائرية في أحيان أخرى، لكنها في كلتا الحالين، أصغر مساحة من القرش الأبيض الفضي أو الأحمر النحاسي... وقد تزداد الحكاية ويصبح المبلغ أكبر من ذلك، فتتطور الثروة إلى قروش... وقد يجمعها البعض لغوياً في نواحي أخرى من بلاد السودان (قرّاش)... وقد تسأل شخصاً ما عندك قروش؟ يقول ليك: (مو عني)... حتى في اللغة فهو يخصم، إن كان شحيحاً، ف..(ما) النافية يقلبها (مو) فعند الواو نقف وهنا تحس الغلظة... وتحس أنّ الكلام يجب أن يقف في الحد دا وبس... وكلمة عندي يخصم منها الدال فتصبح (عني)... بالعين المكسورة عمداً، أسي دا ذاتو موش هو حب الشحيح للمال؟

قد يطلب أحدهم قروش من طرف آخر فيباغته بجملة: يقرش حلقك... بمعنى تصاب بالتهاب رئوي ينشف الحلق... ودي طبعاً دعوة غير مستحبة ولا مقبولة

في زمن الكورونا دا... لأنها طوالي بتودي للحجر الصحي، أو في ظروف أخرى  
لا سمح الله للقبر...

للزول الما داير يحل دينو... وأصلو مفلس، وما عندو شي... لما ينكفو واحد  
في قروشو (دينو) يقول ليهو: القروش طيرة... علماً بأنه سيقبض عليها بي  
إيدينو العشرة، إن دخلت جيبو... والبعض يقول ما تثق في القروش، بمعنى أنه لا  
أمان لها... فهي من الأربعة الجات فيهم المقولة: المال ولو كثر... وواحد  
يقولوا ليك: دا من سوء الإدارة للمال... وواحد يقولوا: دا حظو... وواحد  
يحكموا على حرمتو وفسادو كمال مسروق أو ربوي... وكلام كثير يقال، إلا أننا  
نرجع ونقول: إن القروش عصب الحياة... وإن القرش الأبيض لليوم الأسود  
ونقول:

إن الدراهم في الأماكن كلها

تكسو الرجال مهابة ووقارا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة

وهي السلاح لمن أراد قتالا

وكمان:

العندو القروش لو رياتو تسيل

تختارو القبيلة ويبقى ليها دليل.

القرش لو كان أبيض أو أحمر كنا نحترمو شديد... رغم أنه أداة من أدوات  
الاستعمار، وفرض الهيمنة على الشعوب وإذلالها... ومنهجتها بحسب رؤية  
المستعمر الدخيل... حتى وإن لم يكن مستعمرًا مباشرًا، فأصل القرش عندنا  
مصري... وعندما شعر الوطنيون بذلك في 1957م تم تغيير العملة بكاملها إلى  
عملة سودانية توحى بالانعتاق والتحرر.

كنا نهتم كثيراً بالقرش الأحمر (المشرشر)... وكان هذا القرش معرضاً للتلسوخ نتيجة الاستخدام الكثير، والهمجي في نفس الوقت... أو نتيجة ضياعه داخل أبيار مياه الشرب أو مناطق العمل اليدوي المتعددة، إثر سقوطه اللاإرادي من العاملين، ومن قبيل هذا الاهتمام بالقرش نعمل نحن الصغار في زمانا داك، على تنظيف تلك القروش المتسخة، مما علق بها من كساء (وسخي)، يحجب معالمها كالصدا وغيره... ونسبة لعدم توافر مواد وأدوات النظافة وإزالة الأوساخ المتطورة، كنا نعد لحك تلك القروش برؤوسنا... أي نمرر القرش مبلولاً بالبزاغ إن لم نجد الماء... تكراراً ومراراً على شعر رؤوسنا، لإزالة ما علق عليه من الوسخ، ولا نكثرث أبداً لما قد يصيبنا من القوب أو الكاروشة أو أي مرض جلدي آخر... حتى يصبح القرش أحمرأ براقاً لا معاً... وذلك باعتبار شعر الرأس من الإمكانيات المتاحة ل..(الجلالية) في ذلك الزمان...علماً بأننا كنا نحلق صلعة (مكرودة كرد).

انتقل اهتمامنا بعد ذلك لوحدات أخرى من وحدات العملة مثل: الشلن، والريال أبو عشرة، ثم الريال أبو عشرين، ثم الجنيه الورقي، ومن فروعه الطراة (خمسة وعشرين قرش)، ثم ورقة الخمسين قرش، وتمدد الأمر إلى ورقة العشرين جنية، ثم الخمسين جنية، ثم المية جنية، ثم الخمسمية جنية، ثم الألف جنية... ورغم كل ذلك الانبهاال القرشي... إلا أننا لا نزال نحس أن ذلك القرش الوسخان الذي عالجناه وكرمناه... وعدلنا مسيرته بالموروثات البسيطة فقط... كان أكبر قيمة، وأكثر ضماناً لحياتنا، يدفع بنا كي نعيش سعداء آمنين.

عمر العماس